

معنى الرسالة الخالدة

طالما وجه إلي أعضاء الحركة وأصدقائها السؤال عما نعني بالرسالة الخالدة . وكنت دوماً أجيب جواباً بسيطاً لهؤلاء الذين يظن أكثرهم ان الرسالة العربية الخالدة هي حضارة وقيم معينة يستطيع العرب في المستقبل عندما يبلغون المستوى الراقي السليم المبدع ان يحققوها وينشروها بين البشر، واعتبرت هذه النظرة بعيدة عن الحياة وعن التجربة ، ورأيت أنهم يحسبون الرسالة شيئاً جامداً منفصلاً عن نفوس أبناء الأمة وحياتها وتجاربها . فكنت أجيب دوماً بأن رسالة العرب الخالدة ليست للمستقبل وانما هي الآن في طور التحقيق . انها هذا الاقبال من العرب على معالجة مصيرهم وحاضرهم معالجة جديّة جريئة وهذا القبول بأن تكون نهضتهم نتيجة التعب والالام ، هذا التحسس بالآفات والمفاسد التي انتابت حياتهم ومجتمعهم ، هذه الصراحة في رؤية عيوبهم ، هذه الجرأة في الاعتراف بها ، وهذا التصميم الرجولي على ان ينقذوا أنفسهم بقواهم الذاتية غير معتمدين على قوى أجنبية او على سحر ، هذه التجربة المرة المملوءة بالكوارث . . . هذا الحاضر الذي يحياه العرب الآن هو بدء الرسالة الخالدة ، لأنهم في هذه التجربة سيعرفون من جديد ما معنى العمل والتضحية ، ما معنى التفكير السليم المستقل الذي لا يخاف ضغط الغوغاء ، ما معنى الخلق الحر الذي لا يستسيغ التقليد . في هذا الحاضر الذي يبدو أسود قاتماً بشعاً فقيراً ، تكمن الكنوز الوفيرة ، الكنوز الروحية والخلقية والفكرية للنوع السليم من العرب ، ففي كل عربي بذور السلامة والصحة .

ان القيم التي نتغنى بها والتي نعرف معرفة سطحية جامدة ان جدودنا الابطال قد مثلوها ، ثم نعجز عن تحقيق جزء بسيط منها في حياتنا ، علينا أن نستكشفها من جديد ، وهذا هو معنى التقدمية التي تظهر للعقول القاصرة بأنها تنكر التراث القومي والاخلاق القويمة ، بينما هي في الحقيقة وصول صحيح إلى القيم الحقيقية الكامنة في النفس العربية والتي لا يمكن أن ترجع اليها من نفسها دون أن نتعب ونصعد اليها ،

وأن نشعر بأننا ولدنا بها ولادة جديدة واكتشفناها اكتشافا جديدا .
أيها الاخوان، في الوقت الذي تكثر فيه موجات التشاؤم والتخاذل، وتتكاثر فيه الكوارث والنكبات، يشعر العرب الصادقون بأن يوم الخلاص قد قرب، لأن الطريق قد فتح لتهتز النفس العربية أخيرا، لتهتز اهتزازا عميقا، لتتذكر ذاتها ومهمتها وتنتفض بانطلاق وحيوية وايمان مستعذبة كل ألم أو تضحية في سبيل ان تحقق رسالتها في الوجود. في هذه الاوقات التي تكثر فيها المصائب ويكثر المتشائمون يجب أن يظهر المؤمنون الحقيقيون، ولا يأتي الايمان الحقيقي الا بنتيجة التجربة والمعاناة، ونتيجة الامتزاج الفعلي بين الافراد وبين مصير امتهم . عندما يتم هذا الامتزاج نستطيع أن نثق بأن العرب يسرون إلى ظفر محقق في آخر هذه التجربة، وانهم سيحملون ثمارا روحية وخلقية وفكرية لاتغذي مستقبلهم فحسب وانما بمقدورها أن تنقذ الانسانية مما ينتابها من اضطراب في القيم، ومن تشويه فيها لأن هذه التجربة التي يمر العرب بها اليوم لااعتقد بأن أمة غير العرب قد عانتها، فاذا كان ابتلاؤها بهذه المصائب الیما موجعا، فعلينا أن ننظر أيضا إلى حكمة القدر الذي يوصل الامة العربية للعظمة والمجد حتى في أوقات محنتها وتأخرها، فارتقاؤها يكون عظیما وقيمتها أيضا عظیمة، ولا تكون الآلام عميقة إلى هذا الحد الا لكي نستكشف كنوزا عجزت عن الوصول اليها امم غيرنا . وما هذه التجارب التي يفرضها القدر علينا الا في سبيل أن نخرج من بعد طول القعود والسبات بنجدید واکمال للرسالة وللقيم وللحضارة العربية التي انما قدر لها أن تتغذى دوما بالآلام والانتعاب .

عام ١٩٥٠